أوهام المؤرخين
(المنهج التاريخي بين النقل والعقل)

الأستاذ المساعد الدكتور

عبد الحكيم غنتاب الكعبي

مركز دراسات البصرة والخليج العربي - جامعة البصرة

الملخص

بعيدا عن نزعة المبالغة في نقد الموروث التاريخي، نرى أهمية الحذر والابتعاد عن الوثوقية الساذجة معرفيا في تناول أو تداول القول (الخبر) التاريخي الذي لا يتسم بالمعقولية، {ونعني بالمعقولية هنا المطابقة بين القول والواقع}، وأن يؤمن كل من القارئ والمؤرخ المعاصر، بأن المعلومة الخادعة لا يمكن أن تصبح حقيقة بحكم أنها مكتوبة أو لأنها وقع تكرارها في المصادر.وهذه الدراسة هي محاولة (منهجية) لتسليط الضوء على الكثير من الأوهام والمغالط التي وقع فيها بعض المؤرخين، بقصد أو دون قصد.

The Historiographers Illusions
the Historical Method Between Transport and Mind

Assistant. Prof. Dr. Abdel-Hakeem Al-Ka'bi

Basra University Basra Arab Gulf Studies Center

Abstract

Far from the extravagance attitude in criticize the historical hereditary, one can see the importance of caution and avoiding the epistemic naïve confidence in dealing and circulation of the historical utterance (news) which does not reasonably characterize {and here reasonably means that the utterance and the reality are identical}, and the reader and the modern historiographer must believe that the deceptive data does not be a true fact because it was written or repeated in references. This study is a (methodical) try to focus the light on many of the illusions and sophistries that some historiographers made, with an intention or not.

المقدمــة :

إن إشكالية الصدق، الذي هو صنو الحقيقة، والكذب، الذي هو رديف التخيل في التاريخ، قضية قديمة، قدم الوعي بصناعة التاريخ، وقد قدم لها العرب قديما حلولا أرضت - إلى حد ما - مؤسسة التاريخ عندهم آنذاك، فهناك الألاف من الروايات الموضوعة، والأحداث المفبركة لخدمة أغراض قد تكون قريبة، أو أهداف مرسومة على مدى بعيد، وقد تنطلي تلك الأحداث المصطنعة، أو الأوهام المدسوسة بين جملة من الحقائق، بيسر وسهولة على القارئ العادي غير المختص، فيصدّق بها، وربما يتحمس لها ويدافع عنها دون وعي بحقيقتها. ومن اللافت حقا، أن نجد أن الأحداث المصطنعة والمفبركة، تكون أشد تأثيرا، وأقوى أثرا، في مشاعر الناس وعواطفهم، من حقائق التاريخ ومجريات أحداثه الفعلية.

وبعيدا عن نزعة المبالغة في نقد الموروث التاريخي، نرى أهمية الحذر والابتعاد عن الوثوقية الساذجة معرفيا في تناول أو تداول القول التاريخي الذي لا يتسم بالمعقولية، وأن يؤمن كل من القارئ والمؤرخ المعاصر، بأن المعلومة الخادعة لا يمكن أن تصبح حقيقة بحكم أنها مكتوبة أو لأنها وقع تكرارها في المصادر .

ولما كان الإسلام في جوهره، دعوة إلى تأسيس العقل في مجال الفكر، والعدل في مجال السلوك الاجتماعي، فإن الدعوة إلى تأكيد عقلانية المنهج التاريخي، تنسجم مع تلك الحقيقة، وهذه الدراسة هي محاولة لتسليط الضوء على مناهج المؤرخين في تدوين التاريخ العربي الإسلامي، وما وقع فيه بعضهم من أوهام ومغالط، بقصد أو دون قصد، ثم جرى تكرارها وتداولها في المصادر والمؤلفات اللاحقة، وهي حكايات وأخبار موضوعة، صنعها الخيال الإنساني، ولا تمت إلى الواقع أو المعقول بصلة قريبة أو بعيدة، ويمكن تفنيد مصداقيتها بيسر ودون عناء، ومع ذلك يتردد ذكرها في الكتب، وعلى ألسنة الناس منذ عصور ودهور. نتمنى أن يكون منهجنا في هذا البحث عونا لقرّاء التاريخ والمهتمين بدراسته وللداعين إلى توظيف عبره ودروسه الغنية لخدمة الحاضر والمستقبل.

لقد تنبه فلاسفة التاريخ منذ زمن بعيد، وفي مقدمتهم ابن خلدون في العالم العربي الإسلامي، ومن بعده فيكو في الغرب، إلى تلك الظواهر في تدوين التاريخ، فسماها ابن خلدون(المغالط والأوهام)[١] بينما أطلق عليها فيكو أسم(أوهام المؤرخين)[٢].

فما هو الوهم ؟ وما أسبابه ؟ على وفق منهجّي كل من(ابن خلدون) و (فيكو) في دراسة التاريخ ؟

ما هو الوهم ؟:

الوهم هو رأي باطل يتميز عن سائر الآراء الخاطئة باستحواذه على من يعتقد بصحته استحواذا يجعله يعتقد على نحو قاطع، في مصداقية جملة من الآراء التي يذهب إليها، وعادة ما يرجع ذلك الاستحواذ إلى احتكام المستحوذ عليه إلى ما يعتقد على نحو غير صائب في كونه حكما بديهيا أو لاستناده إلى مجموعة من المعطيات التي وإن بدت صحيحة، تخفق في ضمان صدق ما يستنتج منها من آراء[٣].

ـ ابن خلدون ومنهجه :

يعد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون من أشهر المفكرين العرب، عاش في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وله كم هائل من المؤلفات والدراسات المتعددة الأغراض، نظرا لتنوع جوانب فكره، فهو مؤرخ وفيلسوف، وعالم في السياسة والاقتصاد والتصوف، ومؤسس لعلم الاجتماع دون منازع، وهو أول من وضع أسس فلسفة التاريخ عند العرب، وقد اهتم به الغرب أكثر مما اهتم به أصحاب الثقافة العربية. أصله من حضرموت، هاجرت أسرته مع الفتح العربي الإسلامي إلى الأندلس ومنها إلى المغرب، فتونس حيث ولد فيها سنة٧٣٢ هـ/١٣٣٢م، وتوفي في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م.[٤]

اتبع ابن خلدون منهجين في دراسة التاريخ: منهج استقرائي ومنهج تجريبي، أما المنهج الاستقرائي فاعتماده على الحواس والعقل، والمنهج التجريبي باعتماده على التاريخ الذي لا يخضع إلى الماورائيات [الغيبيات] أو المثاليات[٥]. وقد ورث ابن خلدون منهجه في الشك العقلي، ممن سبقه من فقهاء المسلمين، فضلاً عما ورثه من تخصصه في مجال علم الحديث، من حيث طرق التثبت من صحة ما يروى منه. وقد كتب هو نفسه في ذلك، فقال: **((ومن علوم الأحاديث النظر في الأسانيد، ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط، لأن العمل إنما وجب بما يغلب على**

الظن صدقه من أخبار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن، وهو بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط، وإنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين، بتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة، ويكون لنا ذلك دليلاً على القبول أو الترك، وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميّزهم فيه واحدًا واحدًا))[٦].

كان ابن خلدون باحثًا مدققًا، وناقدًا محققًا، ولكنه بدلاً من أن يستعمل شكه المنطقي في علم الفقه وعلم الكلام، استعان به في إثبات موضوع علمه الجديد، وهو علم الاجتماع الإنساني والعمران البشري، وبيان مسائله، وما يعرض فيهمن العوارض الذاتية، أي الظواهر الاجتماعية، وتبدّل الأحوال في الأمم والأجيال، وما لذلك كله من العلل والأسباب، كما استعان به في قراءة التاريخ وتدوينه،لذلك نجده، بدلاً من استعماله شكه النقدي في تمحيص الحديث، استعان به في تمحيص الروايات والأخبار، التي تكّون مادة علم التاريخ، فالتاريخ، كما قال ابن خلدون:

((في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأوَل، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتحليل الكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق))[٧]،وبعد أن يشكك ابن خلدون في بعض الأخبار والروايات، ويعطينا أمثلة من الكاذب منها أو الذي لم يقع، يقول:

((فلا تثقن بما يلقى إليك من ذلك، وتأمل الأخبار واعرضها على القوانين الصحيحة، يقع لك تمحيصها بأحسن وجه)).[٨] لذا نراه يتقصى أسباب الكذب في الروايات والأخبار، يشرحها ويحللها،في كثير من التدقيق والتحقيق، على وفق منهج عقلي على جانب كبير من الأهمية، لما فيه من الأصالة في التفكير، والبراعة في الاستدلال المنطقي،الذي يستند فيه إلى ما هو مألوف في طبائع النفس البشرية، وفي قوانين الطبيعة.

شكك ابن خلدون ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ في الأرقام التي أوردها المسعودي وعدد آخر من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل، **((وأن موسى ـ عليه السلام ـ أحصاهم في التيه، بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح، خاصة من ابن عشرين فما فوقها، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون، وأيضا فالذي بين موسى وإسرائيل إنما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون،ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد، وإن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن سليمان ومن بعده، فبعيد أيضًا، إذ ليس بين سليمان وإسرائيل إلا أحد عشر أبا، ولا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد إلى**

مثل هذا العدد الذي زعموه، اللهم إلى المئين والآلاف، فربما يكون، وأما أن يتجاوز إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد. واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف، نجد زعمهم باطلاً ونقلهم كاذبًا..))[٩].

الرواية هنا واضحة والتدقيق فيها أكثر دقة ووضوحا، والسبب في عدم صحتها أنها تتعلق بإحصاء الأعداد، (الأرقام) التي كثيرا ما تكون ((مظنة الكذب ومطية الهذر))[١٠]، أي أنها إما أن تكون غير دقيقة ومبالغ فيها، وأما أنها موضوعة ولا صحة لها مطلقا. وقد شكك ابن خلدون أيضا في أعداد الجيوش التي تذكرها المصادر في تناولها لأخبار المعارك[١١]. وفي المعلومات الجغرافية التي ذكرها بعض المؤرخين، (كوادي الرمل) في المغرب[١٢]، و(إرم ذات العماد) في صحارى عدن وأوصافها الغريبة التي يبدو فيها الخيال واضحا .[١٣]

لقد أجرى ابن خلدون هذه التحقيقات كلها، وكشف عن أسباب الكذب في الروايات والأخبار مجتمعة، وهو في هذا الإجراء يلتزم بمنهجه النقدي الرصين.

أسباب الوضع عند ابن خلدون:

استعرض ابن خلدون مؤلفات من سبقه من المؤرخين، فوجد لأصحابها أخطاء وأوهام، ولم يكتف بالتشخيص والكشف، وإنما تعمق وبحث في أسباب تلك الظاهرة فوجد أن هناك أسباب تجعل الوصف غير صادق، أي تجعل الكذب يتسلل إلى الأخبار المروية،سواء كانت عن الأشخاص أو الدولأو الأحداث السابقة . ومن أهم الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار ـ في نظر ابن خلدون:

- **التشيع للآراء والمذاهب.**[١٤]
- **الثقة المطلقة بالناقلين.**[١٥]
- **توهم الصدق.**[١٦]
- **إخفاء الحقائق من خلال (تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدحوتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك**[١٧]**.**
- **الذهول عن المقاصد.**[١٨]

- **وهم المبالغة أي (ولوع النفس بالغرائب).** [١٩]
- **القياس والمحاكاة.** [٢٠]
- **الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع.** [٢١]

لقد حاول ابن خلدون من خلال هذا المنهج أن يرسم لنا الطريق الصحيح للتمييز بين الممكن والمستحيل من الأخبار، وقد وجه نقدا لاذعا لطريقة رواية الخبر عند معظم المؤرخين، وهاجم الإخباريين بقوله **" كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط "**[٢٢] وفي موضع آخر من " المقدمة " يقول **"...فقد زلت أقدام كثير من الإثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء، وعلقت بأفكارهم، ونقلها عنهم الكافة من ضَعَفة النظر والغفلة عن القياس،وتلقوها هم أيضا كذلك من غير بحث ولا روية**[٢٣]".

ـ فيكوومنهجه:

أما جيوفاني باتيستا فيكو، فهو إيطالي الأصل ولد في نابولي سنة (١٦٨٨م) ودرس الفلسفة واللاهوت والقانون وخاصة التشريع الروماني، وعمل أستاذا للخطابة في نابولي ، ويعد فيكو أول من أرسى قواعد فلسفة التاريخ في أوربا في العصر الحديث، بل هو أبو فلسفة التاريخ قبل تأسيسها في فرنسا على يد فولتير، أو في ألمانيا على يد لسنج وكانط.

يرى فيكو أن التاريخ هو أقرب العلوم إلى الإنسان، لأنه من صنعه ونتيجة إرادته وتفكيره، ويصف فيكو الإنسان بأنه موجود تاريخي، ويصف منهجه في البحث بأنه منهج تطوري يعتمد على بصيرة المؤرخ وقدرته على دراسة تعبيرات الإرادة الإنسانية، ومن ثم يستطيع من خلال إنسانيته أن يستوعب أفعال الإنسان وأن يفهمها وأن يتآلف معها. ويرى فيكو أن الأساطير هي التواريخ الأولى للشعوب، وبأن تأويلها التأويل الصحيح يتيح الفرصة لجمع معلومات هائلة عن الماضي وأحداثه.[٢٤]

أراد فيكو أن يقوم بدور العالم المعروف (بيكون) صاحب المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية ، من حيث المنهج، ومن ثم فلقد تأثر ببيكون فيما أشار إليه من أوهام، وأكد بأن المؤرخين عرضة لأوهام مماثلة لما قام به علماء الطبيعة، ولابد لهم من منهج في دراستهم، ولخص فيكو أوهام المؤرخين، التي تتماهى كثيرا مع الأوهام التي رصدها أبن خلدون قبلة بثلاثة قرون ، بما يلي :

- **وهم التهويل والتفخيم:** حيث تمجد الأمة ماضيها، مبرزة جوانب المجد والقوة والثراء فيها فقط.
- **وهم الثقافة الأكاديمية:** حيث يتصور المؤرخ، نظرا لأنه متعلم مثقف، بأن شخصيات التاريخ، طالما أن لها دور بارز في أحداثه، وتحكمت في مصائر شعوبه، فإنها لابد أن تكون على درجة من الثقافة والعلم.
- **وهم المصادر** [أو التأثر والتأثير] حين يرى المؤرخ تشابه نظامين، فيحكم أنه لابد أن يكون أحدهما قد تأثر أو اقتبس من الآخر.
- **وهم الاقتراب:** حيث يعتقد المؤرخ أن السابقين أكثر علما منا بالعصور القريبة زمنا من عصرهم، ويرجع هذا الوهم إلى تصور التاريخ كذاكرة الإنسان.[٢٥]

نماذج من أوهام المؤرخين:

مع استقرار دولة الإسلام، وانتهاء عصر الفتوح، مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن للميلاد، راح المؤرخون بالظهور وكان من الطبيعي أن تكون الكتب التي تؤرخ للرسول الكريم هي الأولى. ثم توالت كتب التاريخ التي تسرد لتاريخ الكون والأمم والفتوحات والدول والحروب والصراعات والملوك، ولقد ترك لنا المؤرخ الإسلامي مادة تاريخية في غاية الثراء، صالحة للنظر لا في الوقائع فحسب، بل وفي الأفكار والوعي والأماكن والاتجاهات السياسية والأيديولوجية، ذلك أنه لم يترك ما هو قابل للتأريخ إلا قد أثبته[٢٦].

وإن أول مظهر من مظاهر الوعي التاريخي للمؤرخ الإسلامي هو اتحاد الرواية بالحدث(أي السند أو الإسناد بنص الخبر أو المتن)، والنقل عن الرواة في تسلسلهم الزمني وذلك لتأكيد صحة رواية ما أو للإشارة إلى الاختلاف في الروايات، وفي كل الأحوال ظلت الرواية الشفاهية أو الكتابية الطريقة الأكثر حضوراً في إيراد الخبر. وهذا يعني أن التاريخ هو إخبار خبر يتناوله الرواة ويثبتونه في الكتب. فابن هشام يروي عن ابن اسحاق المتوفي ١٥١ هـ، والطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ يروي عن ابن هشام، والسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ يروي عن سابقيه وهكذا.

والحق أن استمرار الرواية طريقة في التأريخ هو استمرار للشفاهي، فالشفاهي صار مكتوباً في سفر متعدد المجلدات وهذا الحجم الكبير من الكتب التاريخية ما كان ليكون إلا بسبب استمرار تثبيت الروايات حول حدث واحد. ومن النتائج المترتبة على بقاء الرواية أن صدق الحدث ظل مرتبطاً بصدق القول المتواتر عن السلف، فصحة وقوع الحدث ناتج من صحة الروايات وعدد الرواة. وهذا ما عطل البحث في معقولية الحدث ذاته، إذ الأولوية للرواية وليس إلى معقولية الحدث التاريخي.وهذا ما انتقده ابن خلدون بشده، كما أشرنا في بداية هذا البحث. ولهذا من النادر أن تجد حضوراً للشك في الوعي التاريخي للمؤرخ الإسلامي، ولقد استعمل المؤرخ الإسلامي - إلا في حالات قليلة مرتبطة بالشخوص ذات المكانة الدينية - تلميحات دالة على الشك مثل : (زعموا) و(يزعمون) و (قيل) دون أن ينسب الزعم أو القيل لأحد بعينه، هذا كي يظل الراوي عنصراً مهماً من عناصر صحة الحدث. "فزعموا" و"قيل" لا تشير إلى أحد بعينه فظل الزاعم والقائل مجهولين[٢٧].

ومن أشهر الأمثلة على ما ورد من روايات غريبة في المصادر العربية القديمة، وهي تروي أحداثا هامة في التاريخ الإسلامي:

- رواية زواج الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) من السيدة خديجة (رضي الله عنها) كما وردت عند الطبري[٢٨] .

- الروايات التي تحدثت عن عدد القتلى في المعارك التي جرت بين الإمام علي(ع) وخصومه (في الجمل وصفين) عند الطبري وغيره من المؤرخين[٢٩] .

ـ الروايات الخاصة بمقتل الخليفة الثالث، عثمان بن عفان (رض)[٣٠]، وغير ذلك الكثير من الشواهد والأمثلة التي يطول الحديث بذكرها مفصلا.

من جانب آخر، انتقلت أساطير التوراة إلى كتب التاريخ العربي ـ الإسلامي بوصفها تاريخاً ووقائع دون أي إعمال للنقد بهذه الأساطير، ودليل ذلك أن المؤرخ الإسلامي، فضلا عن وعيه الديني بالعالم لم يجد أمامه إلا هذا المرجع ليسد الفراغ في معرفة تاريخ المنطقة، هذا من جهة، ولأنه يعترف ـ باعتباره مسلما ـ باليهودية دين سماوي من جهة ثانية.

لذلك نجد أن الطبري ـ مثلا ـ ينقل عن التوراة حرفياً، تسلسل البشرية عن آدم، فشيت بن آدم عاش (تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة)، وعاش أنوش بن شيت (تسعمائة سنة وخمس سنين) وعاش قينان بن أنوش (تسعمائة سنة وعشر سنين) وعاش مهلائيل بن قينان (ثمانمائة سنة وثلاثين سنة) وهكذا..[٣١]

لكن هذه العودة إلى التوراة لم تمنع المؤرخ العربي من إعمال خياله الأسطوري هو أيضا، إلى جانب أساطير التوراة، فالتوراة مثلاً لا تذكر تفاصيل موت سيدنا إبراهيم(عليه السلام) إلا في خبر بسطور قليلة حيث بات شيخاً مشبعاً بالأيام:

ـ أما خيال المؤرخ العربي فقد أضاف:

((فلما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم، (عليه السلام)، أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخ هرم، فحدثني موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماه قال: حدثنا أسباط عن السدي بالإسناد الذي ذكرته قيل: كان إبراهيم كثير الطعام يطعم الناس ويضيفهم، فبينما هو يطعم الناس إذا بشيخ يمشي في الحرة، فبعث إليه بحماره فركبه حتى أتاه أطعمه، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه، فيدخلها عينه وأذنه ثم يدخلها فاه، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره، وكان إبراهيم قد سأل ربه عز وجل ألا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت.

فقال للشيخ حين رأى من حاله ما رأى: ما بالك يا شيخ تصنع هذا؟ قال: يا إبراهيم الكبر. قال: ابن كم أنت ؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين. فقال إبراهيم: إنما بيني وبينك سنتان، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك؟ قال: نعم، قال إبراهيم: اللهم اقبضني إليك قبل ذلك، فقام الشيخ فقبض روحه، وكان ملك الموت))[٣٢].

إن الأسطورة باعتبارها متخيلاً إنسانياً لأحداث لا تنتمي إلى المعقول، ولا إلى الواقع المحكوم بعلاقات سببية واقعية موضوعية فإن المؤرخ العربي ـ الإسلامي لم يكن قادراً على التمييز بين الأسطورة والواقع دائماً، وتعامل مع الأساطير على أنها وقائع حدثت فعلاً.وظل خياله الأسطوري حاضراً في وعيه حتى وهو يسرد تاريخ الإسلام نفسه. فلقد أمدنا ابن الكلبي بكتاب مهم (الأصنام) حيث أرخ لوجود الأصنام عند عرب ما قبل الإسلام، وطقوس عبادتها، وعلاقة قبائل العرب بأصنامها، وما زال هذا الكتاب مرجعاً مهماً في هذا الشأن. غير أنه شوه بعضا من روايات كتابهذا بسرد أساطير حول هذه الأصنام، أي ظل وعيه التاريخي مختلطاً بوعيه الأسطوري.

ـ فحين يتحدث عن الصنمين: إساف ونائلة يورد الأسطورة المعروفة والتي تفيد بأن ((**إسافاً رجل من جرهم هو إساف بن يعلى، ونائلة هي بنت زيد من جرهم، وكان إساف يتعشق نائلة في أرض اليمن، فأقبلوا حجاجاً، فدخلا الكعبة، فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت ففجر بها في البيت، فأصبحوا فوجدوهما مسخين، فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج إلى البيت بعد من العرب**))[٣٣].ورواية كهذه ترد ـ للأسف ـ في أغلب كتب التاريخ الإسلامي.

ـ ويقول عن العزى نقلاً عن الرواة ((**أن العزى كانت شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة،وحين ضربها خالد الضربة الثالثة فإذا هي حبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصر بأنيابها**)).[٣٤]

إن وجود الأصنام في الكعبة واقعة تاريخية صحيحة، وكذلك تحطيم الأصنام بأمر الرسول الكريم، إذ من الطبيعي أن تحطم الأصنام بعد فتح مكة وانتصار المسلمين، لكن المؤرخ الإسلامي لم يكتف بسرد الواقعة بل أسبغ عليها حلة أسطورية، وألف رواية أوردها بمعزل عن امتحانها، لأن وعيه بالأساس لم يصل إلى مستوى الوعي التاريخي الصرف. وهناك إذن الكثير من الوقائع الصحيحة والهامة، التي لا يتسع مجال البحث لذكرها، تعرضت أيضا لمثل هذه الأسطرة.

الخاتمـــة :

إن التاريخ العربي الإسلامي منذ انطلاق الدعوة المحمدية المباركة، وحتى انهيار الدولة العربية الإسلامية، مروراً بمرحلة صدر الإسلام، والفتوحات الإسلامية الكبرى، ثم قيام الدولتين الأموية والعباسية والدويلات الأخرى، ينطوي على وقائع تاريخية لا حصر لها، تاريخ يمتد زمنا إلى أكثر من سبعة قرون، وجغرافيا على امتداد ثلاث قارات، هي كل العالم القديم، واشتركت في صناعته أمم وشعوب شتى، وفيه وقائع ومنعرجات هي من الثراء بحيث يصعب على الباحث الواحد امتلاكه، وفيه من الانتصارات والهزائم والفتن ما يعجز الباحث عن الإلمام بكل أسبابها ونتائجها.

إن كتب التاريخ العربي الإسلامي التي أرخت لتلك الحقب الطويلة، هي كثيرة جداً، حتى قيل أن الأمة العربية هي أكثر الأمم انتاجا للأدب التاريخي، هذا صحيح، ولكن حضور مثل تلك الأوهام والمغالط، على قلتها، ليوحي بنمط من التفكير قد يفسد حتى الوقائع التي حدثت فعلاً، والملاحظ أنه كلما بعد الزمن عن الأصل، صار المؤرخ أقرب إلى الواقعية، وزالت الحوادث المتخيلة، ومضى الحديث عن الشخوص ذات المكانة الدينية التي يمكن أن يسبغ عليها المؤرخ طابعاً أسطورياً.

أننا ـ ولشديد الأسف ـ ما زلنا في مدارسنا وجامعاتنا ندرّس تاريخنا ـ في الغالب ـ انطلاقاً من قصص التاريخ كما أوردها مؤرخونا القدامى، ناهيك عن أن العربي والمسلم عموماً ما زال يستمع إلى هذه القصص في أكثر من محفل ومكان وفضائية، عبر أحاديث الجمعة وخطبها، وعبر البرامج الدينية المتنوعة، وعبر الدعاة الجدد والقدامى، مما يعزز الوعي القديم بالتاريخ والطابع الأسطوري له.

هوامش البحث

١. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار العودة، بيروت ١٩٨١ ص ٧.
٢. أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، بنغازي ١٩٩٩ ص ٦٧.
٣. ينظر: نجيب الصيداوي، أوهام الخلط ، ط١، جامعة قار يونس، بنغازي ١٩٨٩ص٥.
٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق على عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة (د.ت) ج١ ص ٣
٥. مصباح العاملي :ابن خلدون وتفوق الفكر العربي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ١٩٨٨ ص٤٣٨ .
٦. ابن خلدون: المقدمة طبعة دار العودة ص ٣٤٩ .
٧. المصدر نفسه ص ٢ .
٨. نفسه ص٣.
٩. نفسه ص ٧.
١٠. نفسه ص٧.
١١. نفسه ص٨.
١٢. نفسه ص١٠.
١٣. نفسه ص١٠.
١٤. نفسه ص ٢٨
١٥. نفسه ص٢٨.
١٦. نفسه ص ٢٨.
١٧. نفسه ص٢٨.
١٨. نفسه ص٢٨
١٩. نفسه ص٢٨
٢٠. نفسه ص٢٨.

٢١.نفسه ص٢٩

٢٢.نفسه ص٧.

٢٣.نفسه ص ٩.

٢٤.أحمد محمود صبحي ص٦٩

٢٥.المرجع نفسه ٧٠

٢٦.الدوري عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت ١٩٦٠ ص٢٠

٢٧.شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، بيروت ١٩٨٩ ،ج١ ٨٣ .

٢٨. ينظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعارف ،القاهرة ١٩٦٨ ج٢، ص٢٨٢.

٢٩. ينظر: الطبري، المصدر نفسه ج٢ ، ص ص ٥٠٨ ـ ٥٣٩.

٣٠. ينظر : السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، القاهرة ١٩٦٤، ص ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

٣١.ينظر الطبري، مرجع سابق، ، ص١٦٣ – ١٦٥، ثم قارن مع التوراة في الكتاب المقدس[العهد القديم والعهد الجديد] بيروت ١٩٨٦،ص ٨٥ – ٨٦.

٣٢.الطبري، مصدر سابق ج١ ص٥٢ ،ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٦٥.ج١ ص١٢.

٣٣.الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، كتاب الأصنام، نشره أحمد زكي، طبعة بولاق ، تصوير الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص٩

٣٤.ابن الكلبي، المصدر نفسه ص ٢٥ .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

١. الكتاب المقدس [العهد القديم والعهد الجديد] بيروت ١٩٨٦.

٢. ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٦٥.

٣. ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، كتاب الأصنام، نشره أحمد زكي، طبعة بولاق تصوير الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٥.

٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق على عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة (د.ت) .

٥. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار العودة، بيروت١٩٨١

٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، القاهرة ١٩٦٤

٧. الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٨ .

ثانيا: المراجع :

٨. أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، بنغازي ١٩٩٩ ص ٦٧.

٩. الدوري عبد العزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت ١٩٦٠ ص٢٠

١٠.شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، بيروت ١٩٨٩ ،ج١ ٨٣ .

١١.مصباح العاملي :ابن خلدون وتفوق الفكر العربي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ١٩٨٨ ص٤٣٨ .

١٢.نجيب الصيداوي، أوهام الخلط ، ط١، جامعة قار يونس، بنغازي ١٩٨٩ص٥.